أصحاب الفجر.. وجيوش الظلام

تقدم ماشياً رويداً.. شارد الذهن.. ثقيل الخطوات كأنه يقتلعها من الأرض اقتلاعاً.. يتقدم تجاه الشمس.. وقرصها بدأ في الاحمرار أكثر فأكثر..

ذاك يتقدم.. وهذا يتأخر.. ذاك يقترب منه.. هذا يبتعد عنه.. وكأني به يريد أن يحادثه بحديث ما يخصه في هذا الظرف الضيق الحرج..

استمر في المسير ثم توقف وجال ببصره في الافق الرحب يميناً وشمالاً.. فأحس بقشعريرة أخذت تدب في جلده مما رآه..

فالظلام بدأ يزحف بجيوشه قادماً من الشرق غازياً الغرب..

رفع بصره فإذا بالطيور والحمام تتسابق إلى اعشاشها.. ثم ألقى ببصره إلى من حوله من الناس فإذا بهم يهرعون إلى بيوتهم ويقفلون من ورائهم أبوابهم.. حتى خشاش الأرض انطمرت فيها..

ساد الصمت والسكون عندما انحسر الكلام.. وعندما أيقن أنه يلاحق الشمس وهي أمامه وأن جيش الظلام يزحف نحوه أرتعد وارتجف..

يا إلهي ، هذه الشمس المرحقة اللاسعة.. هاهي الآن تضعف وتحمر.. بل وتسقط أمام هذا الغازي العاتي المكهفر.. هل سيغلبها ويقرها ويقطع خيوط شعاعها ويطمس ضياءها وزينتها؟.. إذاً فمن أين لنا بنور وضياء من دونها؟!.. ثم إذا حدث وكان هذا فإلى متى سيبقى الظلام سائداً بجيوشه؟.. وإلى متى يبقى السواد يسود علينا ويعمي أبصارنا؟.. ومن الذي سيأتي بجيوش النصر ، وكتائب التبشير ليفرق جمعه ويبدد شمله؟..

أم أنه ربما يعطف علينا ويودنافيمنحنا شيئاً من نوره اللامع البراق عوضاً عن حبيبتنا الشمس!!.. ولكن علمي فيه وفي أمثاله خلاف ذلك تماماً ، ما حدثنا أباؤنا ولا أجدادنا

أن الظلام والنـور والعتمـة والظلام اجتمعـا يومـاً مـا تحـت سقفٍ واحد..

ولا حتى في ابجدية حروفهـا مـا احتمـع بينهمـا حـرف واحد.. ولا صدقني خيالي بأن البياض والسـواد قـد تصـالحا يوماً ولو على الورق..

وبينمـا هـو فـي هـذه المعادلـة الصـعبة جلـس مكـانه مستسلماً لما سينتظره من مصير محتوم..

وما كاد يجلس حتى انتفض من مكانه كالمـذعور ممـا سمع من نباح الكلاب وعويل السباع والذئاب... يـا سـبحان الله.. قبل وقت ليس بالطويل وفي زهوة الشمس وشبابها كانت زقزقة العصـافير.. وتغاريـد البلابـل تشـنف الاسـماع وتطرب الآذان.. والآن.. نباح ونهيق وعويل..

أهــذه تباشــير الليــل.. وطلائــع الظلام.. فكيــف إذا بدامس الليـل واسـوداد الظلام؟!.. كيـف سيقضـي النـاس معاشهم وتسير أمورهم على ما ينبغي؟.. كيـف سـيفرقون بين الأخ والعدو؟.. وبين القريب والبعيد؟..

ثم سأل نفسه: هل ثم من حل يسـعى لـه لـدحر هـذا الغازي الكابـح ورد كيـده هـو وجنـوده؟.. أم انـه ينتظـر مـع المنتظرين إلى أجل مسمى؟..

وبينما هو في دوامة الأسئلة وبحر الاستفهامات انشق عنـان السـماء بكلمـات الاذان صـدع بهـا المـؤذن فـي هـذا الظلام البهيم مذكراً بحي على الفلاح.. الله أكبر.. ومناديـاً بالاجتماع.. ومن بعـده بتسـوية الصـفوف وتراصـها.. ومـن قبله بالتطهر والتأهب..

نعـم.. مـع وجـود هـذا الغـازي الـدخيل وهـذا الصـائل العتيد بجيوشه وعدده وعدته الزاحفة يُرفع التكبير والتهليل ليكسر حواجب الصمت عنه والاذعان له..

فعندها استدار خلف ظهره نحو مسـجده ومـن ورائـه ذاك الغازي.. ولكن مع هذا انطلق كالسهم نحو مصلاه وهو يردد: حي على الصلاة.. حي على الفلاح..

وهو فـي مسـيره هـذا المبـارك غنـم مغـانم كـثيرة... نعم.. لن يحكم اغلاق بيته فحسب وهو ضامر بداخله.. ولن

يتخذ لنفسه حُجراً يواري فيه نفسه من هذا الجيش.. ولن يحيد بنفسه حتى يأتيه النصر من حيث لا يحتسب!.. لا بل سيحكم اغلاق بيته ويحرسه من كل عابث وفاسد.. وسيوقد النيران العظيمة خارجاً لتحرسه.. ويشعل الشموع والمصابيح بداخله ليستنير بها.. سيدعو غيره ليتعاونوا معه لإيقاد نار عظيمة يقتبسون منها الشعل والشموع..

نعم.. لا بد من فعل ذلك قبل فوات الأوان...

وما أن بدأ العدو يأخذ موقعه حتى بدأ هو في الجد والكد.. فأشعل ناراً عظيمة.. وأخذ يسلم لكل عظيم شمعة وشعلة.. فاقتبس العظماء من فعله المبارك.. فانخنس الظلام عن هذه القرية.. واندحر بعد أن لفحته قبسه من قبسات حبيبتنا الشمس.. وفرت الكلاب والسباع بنباحها وعويلها..

وما هي إلا سويعات قليلة حتى انفجر الفجر من خلف أسوار الظلام يشرد به من خلفه.. والشمس تمده بما عندها من انغام الاذان..

ومع قراءة الإمام {وَالْفَجْرِ...} تشتت وتفرق وتلاشى مولي الدبر.. فعادت البسمَة من جديد وأخذت الطيور في التغريد لميلاد يوم جديد...

عن مجلة الفجر

منبر التوحيد والجهاد

* * *

sw.dehwat.www//:ptth
sw.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

موقعنا على الشبكة

sw.dehwat.www//:ptth
moc.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

منبر التوحيد والجهاد
sw.dehwat.www
moc.esedqamla.www
ofni.hannusla.www
moc.adataq-uba.www